

التسامح الديني عند النصاري

الدعوى والواقع

د. عبد العزيز بن أحمد الحميدي

قسم العقيدة - جامعة أم القرى

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستغفره ونستهديه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فهذا بحث عن دعوى التسامح الديني التي يدعيها النصاري، ونشأت في مرحلة العصور الوسطى ولها امتداد إلى الوقت الحاضر.

وسأناقش هذه الدعوى بإذن الله مع جهود كبار قسس النصاري

المدعين لهذه الدعوى، والمنسوبين لها في موقفهم العدائي الواضح من الإسلام والقرآن وخاتم الأنبياء محمد ﷺ.

وقد جعلت البحث مكوناً من: مقدمة وفصلين.

الفصل الأول: تأثير النصارى بكتابات العهد القديم المناقضة للتسامح.

الفصل الثاني: التسامح الديني عند النصارى الدعوى والواقع.

ثم خاتمة للبحث.

والله الموفق لا إله إلا هو.





الفصل الأول

تأثر النصارى بكتابات العهد القديم المناقضة للتسامح

- «الله محبة، فمن أقام في المحبة أقام في الله، وأقام الله فيه»^(١).
- «أحبوا أعداءكم وصلّوا لأجل من يضطهدكم لكي تكونوا أبناء أبيكم السماوي الذي تشرق شمسُه على الأبرار والفجار»^(٢).
- «كل ما تكره لا تفعله لأحد من الناس»^(٣).
- «كل ما تحبون أن يفعل الناس لكم فافعلوه أنتم لهم»^(٤).
- «المحبة تصبر، المحبة تخدم ولا تحسد... لا تحق، ولا تبالي بالسوء... وهي تعذر كل شيء وتصدق كل شيء وترجو كل شيء وتحمل كل شيء»^(٥).

لما اعتمد النصارى على مختلف طوائفهم توراة يهود وأسفار الأنبياء ضمن الكتاب المقدس، تحت مسمى «العهد القديم»، ظهر التناقض الصارخ بين الدموية، والدعوة للحرب والقتل والإبادة التي تطفح بها كتب يهود كما ذكرنا قبل خصوصاً سفر «يشوع» وسفر «ثنية الاشتراع»، وبين هذه النصوص في الأناجيل وكتب العهد الجديد الداعية للمحبة والتسامح، حتى مع الأعداء.

(١) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح: ٤ (٨).

(٢) المصدر السابق، إنجيل لوقا، الإصحاح: ٥ (٤٤ - ٤٥).

(٣) المصدر السابق، سفر طوييا، الإصحاح: ٤ (١٦).

(٤) المصدر السابق، إنجيل متى، الإصحاح: ٧ (١٢)، ولوقا، الإصحاح: ٦ (٣١).

(٥) المصدر السابق، الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح: ١٣ (٤ - ٧).

لقد لحظ بعضهم^(١) ذلك وسجل اعتراضه فقال: «كيف يأمر الله اليهود بواسطة موسى أن يلتمسوا الغنى والسلطة، ويتكاثروا حتى يملأوا الأرض، وأن يقتلوا أعداءهم ويذبحوا الأطفال، ويفنوا الشعوب عن بكرة أبيها، ثم يطلع علينا بعدها ابنه الناصري^(٢) بتعاليم مغايرة جداً تقول: إن لا الغني ولا الطامح إلى السلطة مؤهل للإقامة بجوار أبيه وأنه يفترض بك إذا ما تلقيت صفقة من أحدهم، أن تعرض نفسك لاستقبال أخرى! فمن تراه يكذب؟ موسى أم يسوع؟ وهل نسي الله عندما أرسل ابنه ما سبق أن قاله لموسى وجهاً لوجه؟»^(٣).

وقد تصدى للرد عليه فيلسوف لاهوتي يدعى «أوريغانس»^(٤) سالكاً مسلك التأويل الشديد على أنها نضال الروح ضد الجسد^(٥). فلم يقدم جواباً، بل زاد إشكالاً.

هذه النصوص التي يتغنى بها المصلون في كنائس النصارى على اختلاف طوائفهم لم تغن شيئاً دون بروز الرغبة في نفوس النصارى بالتفوق على بقية البشر ووجوب حمل السلاح وإخضاع العالم تارة للكنيسة وتارة لأطماع الملوك والدول المسيحية المتعاقبة.

بل استخدموا مصطلحات «الحرب المقدسة»، «الحرب من أجل يسوع»، «الحرب العادلة»، وغيرها من الشعارات لتأجيج المشاعر ثم ممارسة القتل والحرب والإبادة باسم السيد المسيح والكتاب المقدس ومباركة الرب.

(١) هو الفيلسوف سابلوس وثنى عاش في القرن الثاني الميلادي. انظر: موسوعة أعلام الفلسفة؛ لروني إيلي ألفا (١/٥٣١).

(٢) يقصد المسيح عليه السلام.

(٣) نقلاً عن كتاب: تاريخ التسامح في عصر الإصلاح؛ جوزيف لوكير (٦٧ - ٦٨).

(٤) هو الفيلسوف «أوريجينس» لاهوتي يوناني توفي سنة ٢٥٣م، في كتابه الرد على «سابلوس»، انظر: موسوعة أعلام الفلسفة، إعداد الأستاذ: روني إيلي ألفا (١/١٤٧).

(٥) انظر كتاب: تاريخ التسامح في عصر الإصلاح (٦٨).



ووجد الرهبان والقسس والأباطرة والملوك في الكتاب المقدس وفي العهد الجديد أيضاً مضافاً إلى ما يطفح به العهد القديم ما يسند هذه النفسية المتعطشة للقتل والإبادة من أجل شهواتها ومن أجل الاستغلال وتوسيع الممالك. ونحو ذلك من الأهداف الدنيئة.

- في إنجيل متى^(١): «لا تظنوا أنني جئت لأحمل السلام إلى الأرض، ما جئت لأحمل سلاماً بل سيفاً، جئت لأفرك بين المرء وأبيه، والبنت وأمها، والكنة وحماتها، فيكون أعداء الإنسان أهل بيته».
- وفي إنجيل لوقا^(٢): «من لم يكن معي كان عليّ، ومن لم يجمع معي كان مبدداً».
- وفي متى^(٣): «من لم يكن معي كان عليّ، ومن لم يجمع معي كان مبدداً».
- وفي لوقا^(٤): «أتظنون أنني جئت لأجل السلام في الأرض؟ أقول لكم: لا؛ بل الانقسام. فيكون بعد اليوم خمسة في بيت منقسمين ثلاثة منهم على اثنين، واثنان على ثلاثة، سينقسم الناس فيكون الأب على ابنه، والابن على أبيه، والأم على ابنتها، والبنت على أمها، والحماء على كنتها، والكنة على حماتها».

يقول الأب مايكل بزير: «تقدم الحروب الصليبية مثلاً صارخاً على الرابطة بين الدين والسلطة السياسية، وتمثل كيف تم توظيف «الكتاب» أداة للقمع، ويكفي هنا أن نشير إلى نمط التفكير الديني واللاهوتي اللذين قدّما تسويقاً لمثل ذلك التصرف. ويمكن العثور على جذور التسويق البابوي

(١) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح: ١٠ (٣٤ - ٣٦).

(٢) المصدر السابق، إنجيل لوقا، الإصحاح: ١١ (٢٣).

(٣) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح: ١٢ (٣٠).

(٤) المصدر السابق، إنجيل لوقا، الإصحاح: ١٢ (٤٩ - ٥٣).

للعنف في إنكار القديس أوغسطين الذي لجأ إلى «العهد القديم» ليظهر أن من الممكن أن يأمر به الرب مباشرة، لقد كانت الحرب التي شنت باسم الرب «حرباً عادلة» بامتياز. وعُدَّ إنكار خُلُقِيَّةِ شن حرب موافق عليها سماوياً نقياً لوجود العناية الإلهية بحد ذاتها. علاوة على ذلك، فإن الرب سيساعد أولئك الذين خاضوا حروباً باركتها السماء كما ساعد الرب بني إسرائيل في الانتصار على الأموريين»^(١).

يقول المؤرخ الشهير آرنولد توينبي: «إن اعتقاد بني إسرائيل المسجل كتابياً بأن «يَهْوَه» حضهم على إبادة الكنعانيين، وهو الذي أقر للإنجليز الاستيلاء على أمريكا الشمالية وإيرلندا وأستراليا، وأقر للهولنديين الاستيلاء على جنوب أفريقيا، وللبروسيين الاستيلاء على بولندا، وللصهاينة الاستيلاء على فلسطين»^(٢).

ويقول الأب مايكل بُرير: «اكتشفت بعد عودتي من القدس في آب عام (١٩٩٤م) أن بعض التقاليد الكتابية، إضافة إلى كونها انتشرت دعماً للصهيونية؛ فإنها أيضاً قدمت جزءاً من التسويغ العقدي للفصل العنصري في جنوب أفريقيا أيضاً، وفوق ذلك قدم اللاهوت المسيحي الدعم الفكري للغزو الإسباني لأمريكا اللاتينية. إذن بدا واضحاً الآن أن القصص الكتابية أسهمت في معاناة أعداد لا تحصى من المواطنين المحليين الأصليين... إن القصص الكتابية قد شجعت فعلياً كل أشكال الاستعمار العسكري المنبعث من أوروبا من طريق تزويده بالشرعية السماوية للمسنعمرين الغربيين في حماسهم لزرع «مراكز تقدم» في «قلب الظلام»... إن التفسير النزيه للتقاليد الكتابية التي تأمر بالأعمال الفظيعة، وجرائم الحرب قد قدمت العزاء والسلوى لأولئك المصممين على استغلال الأراضي الجديدة على حساب

(١) الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني (٥٧).

(٢) المصدر السابق.



الشعوب المحلية الأصلية. هناك دليل وافر بأن «الكتاب» كان ولا يزال إلى حد ما المثل الأعلى الذي يسعى إلى استلاب الأرض بالفتوحات»^(١).

إن ما أصاب اليهود من فوبيا ضد الأغيار، واستغلال للنصوص المقدسة لتبرير القتل والإبادة واستلاب الثروات. أصاب نظيره النصارى مع زيادة إرغام الناس على المسيحية أو القتل والإبادة باعتبار أنهم لا يستحقون الحياة.

وهي مخالفة صريحة لأعظم تعاليم «بولس الرسول» التي يتغنى بها النصارى من دعوته الصريحة لحرية الإنسان وأن قبول المسيحية إنما هو للتحرر من عبودية الفساد. ولذا برّر لأتباعه تحمل اضطهاد اليهود لهم، تمسكاً بالحرية التي وقرها لهم إيمانهم بيسوع المخلص.

في رسالته إلى أهل رومية نجده يقيم تعارضاً بين «عبودية الفساد» و«حرية أبناء الله ومجدهم»، فيقول: «وأرى أن آلام الزمن الحاضر لا تعادل المجد الذي سيتجلى فينا، فالخليفة تنتظر بفارغ الصبر تجلي أبناء الله، فقد أخضعت للباطل لا طوعاً منها؛ بل بسلطان الذي أخضعها، ومع ذلك لم تقطع الرجاء لأنها هي أيضاً ستحرر من عبودية الفساد، لتشارك أبناء الله في حريتهم ومجدهم»^(٢).

وفي رسالته إلى أهل غلاطية يقول: «إن المسيح قد حررنا تحريراً، فاثبتوا إذاً، ولا تدعوا أحداً يعود بكم إلى نير العبودية»^(٣).

لقد تميز العالم المسيحي عبر عصوره بالنزعة إلى الإبادة، والاحتلال. وفي هذا العصر الحديث بشكل كبير، الذي يستحق أن يسمى بحق «عصر الرعب»؛ فإن العالم البشري كله اليوم يشهد في هذا العصر من الاضطراب

(١) الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني (٢٢ - ٢٤) باختصار.

(٢) الكتاب المقدس، العهد الجديد، رسالة إلى أهل رومة (١٨/٨ - ٢٠).

(٣) المصدر السابق، رسالة إلى أهل غلاطية (١/٥).

والفوضى، وسوء المستقبل، وتجهم المصير ما يربع القلوب، ويزلزل الأفكار... وقد أمسك بزمامها أمم كافرة - مسيحية - عملاقة «تستعمل قوة العفاريث بعقول الأطفال - كما قاله جود... ومع سباق التسليح الرهيب، والتنافس في نشر أسلحة الفتك المبيد؛ أحس الناس بالهلع الذي يقض المضاجع^(١).

يقول المفكر الألماني «ديتر تسمرلنغ» Dieter Zimmerling: «بالنسبة إلى كثيرين في العالم بأسره تحول قرننا إلى عصر رؤيوي، كنا نحن الآخرين محض نظارة وإن كنا لم نبق بمنأى عن المشاركة فيه، من المنطقي إذاً أن يدور الحديث بالنتيجة عن: «عصر الخوف» و«عصر الحروب العالمية» و«نهاية كل أمان» وأخيراً عن «نهاية العصر الحديث».

تلك النزعة الإبادية كانت قد توطنت الخواطر، وهي تتلقى كل يوم غذاءً جديداً وتمدها كل نظرة نلقها على الجريدة أو شاشة التلفاز بزاد وفير.

تقسم شعاراتها وتكثيفاتها الكلامية مثل: بيئة، مناخ، غابات، إبادة الشعوب، مجاعات، حروب، أوبئة، طاقة نووية، فائض السكان، وغير ذلك من كلمات مرعبة... لقد بدأ الإنسان رحلة إلى الجحيم لا أحد غيره مسؤول عنها... سيهلك العالم ما دام هناك بشر، لذلك، ثمة تصورات حول نهاية ما في مختلف الثقافات والأديان... غير أن المسيحية اخترقت هذا التصور وجعلت للزمان والمكان بداية ونهاية قطعيتين.

تخلت العلوم الطبيعية الحديثة التي تكونت في ركاب العقلانية والتنوير عن هذه التصورات، وركزت اهتمامها على تهيئة علاقات، «فردوسية» للإنسان على الأرض... كما عُقدت الآمال على رفع الإنسان إلى سوية أخلاقية أعلى؛ لكن لم يتحقق هذا الهدف في أي مكان كما يبدو... وكل الذي

(١) من مقدمة كتاب: منهج الأشاعرة في العقيدة؛ للدكتور: سفر بن عبدالرحمن الحوالي (٣ - ٤) باختصار.



حدث هو ترقية نوعية الحياة على الصعيد المادي فقط في ما يسمى اليوم «العالم الغربي»^(١).

ويقول المؤرخ والمفكر الأمريكي الشهير نعوم تشومسكي (Noam Chomsky): «كان الأوروبيون يحاربون بهدف القتل، وكان لديهم من الوسائل ما مكّنهم من إرضاء شهوة الدم عندهم، فقد دهش السكان الأصليون في المستعمرات الأمريكية من وحشية الإسبان والبريطانيين، وبالمثل أربغ غضب آلة الحرب الأوروبية المدمرة شعوب أندونيسيا في الطرف الآخر من العالم»^(٢).

ويقول «باركر»: «إن هيمنة الأوروبيين على العالم قد اعتمدت بشكل حاسم على الاستخدام المستمر للقوة، وبفضل تفوقهم العسكري، لا بفضل أية ميزة اجتماعية أو أخلاقية أو طبيعية، تمكن البيض من بناء وقيادة أول هيمنة عالمية في التاريخ وإن لفترة وجيزة»^(٣).

ويقول ديتر تسمرلنغ: «نشأ الفرسان في ألمانيا من غير الأحرار فكانوا يقاتلون من أجل سيدهم النبيل ثم يتباهون ويتفاخرون بعد ذلك بأفعالهم ويبالغون فيها إلى درجة أغرت إثارتها النبلاء بالانتساب إليهم.

وصف الأسقف «بوتز يوسوتري» من إيطاليا العليا - توفي عام (١٠٩٩م) في مؤلف وضعه عام (١٠٩٠م) عنوانه: «كتاب عن الحياة المسيحية»، ما كان منتظراً من المحاربين، أي: الفرسان، إنه بين أمور أخرى: القتال حتى الموت في سبيل خير الجماعة العامة، ومحاربة المرتدين والهرطقة، والدفاع عن الفقراء والأرامل والأيتام، والالتزام بقسم الولاء وعدم الشعور بالحسد تجاه سادتهم»^(٤).

(١) كتاب: النهايات، الهوس القيامي الألفي (٧ - ٩) باختصار.

(٢) كتاب: سنة ٥٠١ الغزو مستمر (ص ١٨).

(٣) المصدر السابق.

(٤) كتاب: النهايات، الهوس القيامي الألفي (١٢٢).

لقد استخدم النصارى منذ القديم مصطلح «الحرب العادلة» لإبادة الشعوب الأخرى، والاستيلاء على أراضيهم ثم تنصيرهم بالقوة بعد ذلك.

يقول الأب مايكل بزير: «وهكذا أرسى «التنصير» الذي مارسه الكنيسة أساسات سلطة الدولة النّهابة، ومنحها السلطة على ثقافة الشعوب الأصلية، وتمت مراهة الرب بالغزاة الأوروبيين والشيطان بالكفار البرابرة، قدم التنصير الأساس العقدي للإخضاع تماماً كما قدم البارود والحصان الأساسي العسكري، وكان كلاهما في خدمة الهدف الحقيقي للغزوات وهو الإخضاع الاقتصادي للمنطقة وقد استمد دكريتو دي غراسيانو «Decreto de Graciano» التسويغ الأساسي للحرب المقدسة من العهد القديم (يشوع والقضاة وشاؤول وداود) عاكساً التفويض السماوي بشن حرب مقدسة للسيطرة على الأرض الموعودة، وإحكام قبضتهم عليها وشم تلطيف الشكوك. يكون ذلك عدواناً عسكرياً من خلال ادعاء «أوغسطين» اليقيني بأن الحرب، التي أمر بها الرب هي «حرب عادلة» حيث من غير الممكن أن يكون في الرب شر»^(١).

ويقول أستاذ اللاهوت الألماني لود فيغ هاغن: «أما تاريخ المسيحية الغربية فقد وُضع من جانبه، متأثراً بالأفكار الفلسفية في العصر القديم، النظرية التقليدية عن «الحرب العادلة/ bellum iustum» وكان هذا في الحقيقة تناقضاً واضحاً مع المسيحية في أقدم أشكالها، وهي التي كانت تتخذ لنفسها من الحرب والخدمة العسكرية مكاناً قصياً»^(٢).

وقد اعتمدوا في إجبار الناس على الدخول في المسيحية والخضوع لها. على ما جاء في إنجيل لوقا^(٣): «أخرج إلى الطرقات والدروب وألزم الناس بالدخول حتى يمتلئ بيتي».

(١) الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني (٨٢).

(٢) مسيحية ضد الإسلام (٥٠).

(٣) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح: ١٤ (٢٣ - ٢٤).



فأفادت عبارة: «ألزم الناس بالدخول»، في تسويغ حرب عادلة على الهراطقة.

حاول بعض شراح الكتاب المقدس تفادي ما في هذه العبارة من استخدام القوة لإرغام الناس على الدخول في المسيحية فقال: «ليس المقصود هو العنف، بل دعوة ملحة، هناك تفسيرات متأخرة أرادت استخدام هذا النص في سبيل الاهتداءات بالقوة ليس لها أي مبرر في هذا المثل، وكم بالأحرى في روح الإنجيل.

ثم يأتي «توما الأكويني» (Thomas Von Aquen) فيذكر المعايير الأخلاقية التي تسوغ شن الحروب والتي تحدد أهداف الحرب العادلة في الدفاع عن النفس أو الإحساس بالظلم وخدمة السلام. ونحو ذلك.

ولكن قبل أن يضع توما الأكويني في القرن الثالث عشر الميلادي معايير الأخلاقية.

كانت الممارسات الحربية في المسيحية قد انتشرت وشاعت وكان رجال الكنيسة من أمثال «البابا غريغوريوس الأول» بين عامي (٥٩٠ - ٦٠٤) يدعو إلى الحرب لنشر المسيحية.

وكانت الحرب تعد وسيلة مناسبة للانتقام من إهانة فعلية أو متوهمة للمسيح، أو المساس بالعقيدة المسيحية.

بل إن الحرب كذلك تأمن مجال النفوذ المسيحي وتوسيعه، ونتج من ذلك الحملات الحربية الشعواء التي قام بها الإمبراطور «شارلمان» ضد شعوب الجرمان والسلاف. وضد المسلمين في إسبانيا على ضفاف جبال البيرنيه^(١).

(١) مسيحية ضد الإسلام (٥٠ - ٥١)، وكتاب الحرب المقدسة تأليف جان فلوري (١٣٠ - ١٣٥)، وكتاب وريثة الإمبراطورية الرومانية تأليف ريتشارد. أ. ساليان (١٠٩ - ١١٨).

وهكذا ارتبطت فكرة «الحرب العادلة» بمفهوم الحرب على الكفار.

وَصَمِّنَ البابوات من أمثال «البابا ليون الرابع» (٨٤٧ - ٨٥٥م) و«البابا يوحنا الثامن» (٨٧٢ - ٨٨٢م) الحياة الأبدية والاتصال بالمسيح للذين يسقطون في القتال ضد المسلمين وضد النورماندين الوثنيين.

وهكذا أصبحت الحرب المقدسة لتوسيع نفوذ الكنيسة والرعاية البابوية لها، هي التي مهدت لفكرة الحروب الصليبية على نحو حاسم وجعلتها في النهاية تتحول إلى حقيقة واقعة.

يقول المفكر الألماني ديتير تسمرلنغ: «طاف البابا أوربان الثاني منذ أشهر فرنسا داعياً لمشروعه الكبير: حملة الصليب، مدعياً أن الشرق طلب بإلحاح عوناً مسلحاً ضد السلاجقة المسلمين. قال البابا: إن الفرسان النبلاء يتكاسلون ويتشاجرون في حين يحتل الوثنيون الأماكن المسيحية المقدسة ويتوطنون فيها، إنه يعتقد بوجود فرصة سانحة لتوجيه فائض قوة الفروسية نحو أهداف جديدة، أهداف أعلى، ليسود السلام في الداخل، وتنقل الحرب إلى الخارج»^(١).

والعصر الحاضر لا يختلف عن سابقه في حب الغرب المسيحي للحرب والقتال إن لم يكن أشد وأقسى، ودخول البعد الديني فيه واضح.

يقول البروفسور الدانماركي «نيلز لمكة»: «منذ سنوات قليلة، دُعيت لإلقاء محاضرة على قساوسة الجيش الدانماركي عن موضوع «الحرب في العهد القديم» كما دُعي زميلي في دراسات العهد الجديد بالأسلوب نفسه لإلقاء محاضرة عن «الحرب والعهد الجديد» قبلت الدعوى بسرور بدافع من قناعتي أن ثمة الكثير لأقوله... في اليوم المحدد للمحاضرة وصلت إلى الحفل لا أحمل معي سوى نسختي من الكتاب المقدس، وأنا أقول:

(١) النهايات: الهوس القيامي الألفي (١٢٦).



بإمكاننا أن نختار صفحة من العهد القديم لا على التعيين، وسيكون هناك بالتأكيد شيء ذو صلة بموضوعنا، وما تبين في النهاية، من دون امتلاك أي نوع من المخطوط أو المذكرات، تمكنت بسهولة من تسليّة الحضور لمدة حوالى ساعة عن الحرب في العهد القديم.

هذا جانب واحد من جوانب الموضوع، أما الجانب الآخر فله علاقة بالعنف الغربي، الذي له تاريخ طويل جداً، منذ عدة سنوات، عندما وصلت النزعة الإجرامية «HOOLI GANISM» في كرة القدم إلى أسوأها، شرح عالم اجتماع بريطاني أسباب هذه النزعة في الرياضة الحديثة، وفسرها على هذا النحو: «نحن الأوروبيون ببساطة نحب القتال»...

إن القتال ينتمي على نحو ما إلى موروثات الإنسان الغربي، قد تتغير الطريقة التي نقاتل بها، لكننا بالأساس نحب القتال، إن هدف هذه المحاضرة هو مع ذلك ليس أن أعد ملخصاً لنشاطات القتال، ولا أن أعلق على الشؤون الحديثة في هذه المنطقة، فهي ليست محاضرة سياسية؛ بل أن أجمع الشهوة الواضحة لدى الغربيين للحرب والغزو مع العقيدة الموجودة في أحد الأعمدة الأساس للحضارة الغربية، أي: العهد القديم...

إن ما أود التشديد عليه هو أن العنف الذي لا معنى له، الذي هو جزء من الحروب الأوروبية قد يكون له ألوان عقدية، يمكن أن تمثلها على سبيل المثال فظاعات الحرب العالمية الأولى في الخنادق، مع الحرب الكيميائية بوصفها الوسيلة النهائية للحرب، أو الحرب العالمية الثانية التي وصلت إذا جاز القول خاتمتها المشهدية «Spectacular» عندما تم إلقاء قنبلتين نوويتين فوق مدينتي يابانيتين^(١).

ويقول أيضاً: «بهذه الطريقة كان على النمط السائد للتاريخ أن يقدم

(١) يشوع والعنف الغربي، ضمن الجديد في تاريخ فلسطين القديمة (١٠٣ - ١٠٥).

خلفية لأجل خبرة المستقبل ودولة أمة (دولة قومية) يمكنها أن تستدعي مواطنيها الكثيرين إلى شن الحرب لمصلحة الأمة، فكانت النتيجة مدمرة. إن حروب «نابليون بونابرت» كلفت خمسة ملايين شخص على الأقل أرواحهم، والحروب الألمانية ربما كلفت عشرة أضعاف هذا الرقم^(١) ^(٢).

ويضيف لمكة: «تتغير الأحوال عندما يقدم الدين عقيدة الحرب، عندما تصبح الحرب حملات صليبية تهدف إلى تدمير العقيدة المنشقة، ويقدم التاريخ أمثلة كثيرة على ذلك قديماً وحديثاً، من الواضح أن عقيدة الصليبيين في العصور الوسطى كانت توجهها عواطف كتلك التي صاغها سفر يشوع: إنها إرادة الرب «Deus Vult» صرخة الحرب الشهيرة للصليبيين قبل أن يقوموا بذبح سكان القدس لكي ينتقلوا إلى كنيسة الضريح المقدس ليسبحوا بحمد الرب ويحتفلوا بانتصاره، من الواضح مع ذلك أن الطرفين [المتحاربين] في أثناء الحرب العالمية الثانية كانا يحملان مثل هذه العواطف وخاضا حرباً كان ينظر لها الطرفان على أنها حملة صليبية مقدسة، فكانت في عيني الأمريكي حرباً حقيقية بين الخير والشر، فكذا كانت مذكرات الحرب الخاصة بالجنرال «أيزنهاور» التي حملت عنوان: «حرب صليبية في أوروبا» «Acrusade in Europe»، وقد خيضت بوحشية لا سابق لها، ليس أقله في روسيا حيث كان ثمة عقيدتان متعارضتان الشيوعية والنازية: لا رحمة، لا قيود، ولا قواعد للاشتباك»^(٣).

استشهد «نيلز لمكة» بصليبية «أيزنهاور».

وهذا كاتب آخر هو: «كريستوفر هتشنز» Christopher Hitchens يضع

(١) الكاتب هنا يتحدث عن كلفة الحروب في أوروبا أما ما فعله الاستعمار الغربي في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية فأمر مهول حقاً.

(٢) يشوع والعنف الغربي (١١٤).

(٣) المصدر السابق (١١٩).



كتاباً حافلاً^(١) في حروب وزير الخارجية الأمريكي الشهير: هنري كيسنجر «Henry Kissinger». ومدى الصليبية والوحشية وانعدام الهدف الذي سبقها وصحبها.

يقول كريستوفر هتشنز في مقدمة كتابه: «إلى ضحايا هنري كيسنجر البواسل الذين ستعمر أمثولتهم أكثر منه، ومن سمعته. وإلى جوزيف هيلر «Joseph Heller» الذي أدركها مبكراً، وفهمها كاملاً. في رأيه المحافظ يرى غولد «Gold» أن التاريخ لن يذكر هنري كيسنجر كشبيه بيسمارك «Bismarck»، أو ميترنخ «Metternich»، أو كاسلريغ «Castlereagh»؛ بل كإنسان بغض صنع الحرب بسرور^(٢).

ويضيف هتشنز أيضاً: «جل اهتمامي في هذا الكتاب منصب فقط على تلك الإساءات (الكيسنجرية) التي يمكن؛ بل يجب أن تشكل قاعدة وأساساً لمقاضاة شرعية وقانونية لجرائم الحرب، والجرائم ضد الإنسانية، والإساءات الموجهة للقانون العام أو العرفي أو الدولي، بما في ذلك التآمر والتواطؤ لاقتراح جرائم القتل والخطف والتعذيب»^(٣).

يضيف هتشنز: «ما زالت استنتاجات تقرير عضو (الكونغرس) أوتيس بايك «Otis Pike»، تسبب صدمة لدى قراءتها، وتكشف لا مبالاة «هنري كيسنجر» الشديدة تجاه الحياة البشرية، وحقوق الإنسان»^(٤).

ويضيف هتشنز: «إن عدداً من شركاء كيسنجر في الجرائم، إن لم نقل معظمهم، في السجن الآن، أو أنهم ما يزالون بانتظار المحاكمة، أو أنهم

(١) هو كتاب: محاكمة هنري كيسنجر. طبع دار قدمس، دمشق، الطبعة العربية الأولى سنة (٢٠٠٢م).

(٢) محاكمة هنري كيسنجر (١٠).

(٣) المصدر السابق (٣١).

(٤) المصدر السابق (٣١).

عوقبوا ولحق بهم الخزي، أما حصانة كيسنجر الموحشة فهي فاسدة إذ فاحت رائحتها لتصل إلى السماء فإذا أتيح لها أن تسمر فسكون عندئذ ندافع بشكل مخجل عن الفيلسوف القديم أناخارسيس «Anacharsis» الذي قال: «إن القوانين شبيهة ببيت العنكبوت قوي بما يكفي لاحتجاز الضعيف فقط، وأضعف من أن يستطيع احتجاز القوي»، حان الوقت كي تتخذ العدالة مجراها باسم الضحايا المعروفين والمجهولين الذين لا يمكن حصرهم^(١)»^(٢).

يصور لنا «ديتر تسمرلنغ» صورة قاتمة ومرعبة لما ينتظر البشرية.

فيقول: «كان لا بد من وقوع حرب عالمية ثانية، وبناء قنبلة ذرية جربت فعلياً على عدو ومن ممارسة النهب الأكثر فظاظة للمواد الأولية الطبيعية، ومن نمو سكاني انفجاري الطابع، وتدمير حادث أو مرتقب لمجالات حياة الإنسان، والحيوان والنبات، كان لا بد من مرور زمن لا نهاية له، قبل أن يدرك أناس بصيرون، خاصة أن لـ، أبعاداً قيامية وأن الإنسان صنعه بنفسه فلا يجوز أن تسأل عنه أية قوة متعالية إلا إذا كان يرى فيه فعل الشيطان كي يبرئ نفسه»^(٣).

يضيف تسمرلنغ: «جسدت الأسلحة النووية الإسهام الأكثر قذارة في الموت المعاصر للعالم بعد أن جرب الأميركيون عام (١٩٤٥م) باليابانيين ما يمكن لأسلحتهم النووية فعله بالبشر، وتعادل الاتحاد السوفيتي مع أميركا

(١) يظهر أن ما قاله المؤلف هتشنز سيبقى أمنيّة؛ لأن القضية لا تخص كيسنجر بقدر ما هي منهجية سلوكية ونفسية فيولوجية ذات بعد ديني أيضاً للإنسان الغربي والأمريكي خصوصاً صنّاع القرار وصنّاع الحرب، وهذا يذكر بإصدار الولايات المتحدة قانوناً من الأمم المتحدة يعطي حصانة لجنودها الذين ارتكبوا الفظائع في العراق وأفغانستان يقيمهم خارج المساءلة القانونية!!

(٢) المصدر السابق (٣٣ - ٣٤).

(٣) كتاب النهايات: الهوس القيامي الألفي (١٨٧).



في تقنية السلاح الذري، بدأ سباق التسلح النووي إلى أن صار بوسع كل واحدة من القوى النووية القضاء مرات عديدة على مختلف أنواع الحياة في الأرض^(١).

يضيف: «وفقاً للاتجاهات المسيطرة في السياسة، ولتقنيات التدمير، يعدّ نشوب حرب عالمية - ثالثة - محتمل الحدوث كما استخلصت دراسة نشرت في لندن، عنوانها: الصراع في الفضاء الكوني. قالت الدراسة: «إن الشرق والغرب سيحتاجان ذات يوم إلى خوض تجربة قوة من أجل تسوية تناقضاتهما»^(٢).

يضيف: «تريد إسرائيل إضافة السلاح النووي إلى ترسانتها، كي تحافظ على تفوقها العسكري حيال جيرانها العرب، وقد كدست مائتي رأس نووي^(٣) إلى الآن، ورفضت كالهند وباكستان توقيع اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية»^(٤).

ألقت الولايات المتحدة قبلة نووية على هيروشيما باليابان، وأخرى على ناغازاكي يوم السادس من آب عام (١٩٤٥م).

لم يغب البعد الديني والتجذير الإيماني لمباركة هذا التدمير الإجرامي الذي لم يعرف له البشر مثيلاً.

فيقول «ديتر تسمرلنغ» في اندهاش وسخرية: «كتب شخص بخط يده

(١) المصدر السابق (١٩٣).

(٢) المصدر السابق (١٩٣ - ١٩٤).

(٣) أثبت الصحفي الأمريكي الشهير: «سيمور هيرش» بالوثائق امتلاك إسرائيل لنحو (٣٠٠) رأس نووي تستطيع تدمير العالم العربي ثلاث مرات وتدمير نفسها أيضاً على مبدأ «الخيار شمشون»؛ لأنه يعتني بمقولة شمشون كما تروي التوراة الذي هدم المعبد على نفسه وعلى أسرية الفلسطينيين بعد معركة دامية. انظر كتاب: «الخيار شمشون» لسيمور هيرش.

(٤) المصدر السابق (١٩٦).

على التقرير المسجل يوم (٢٦) تموز من عام (١٩٤٥م) حول المادة الانشطارية المستخدمة في قنبلة هيروشيما يقول: «هذه المادة التي استعرضناها نقلها «بارسن» و«تيت»^(١) لتكون حصنة هيروشيما من يوم القيامة».

واستنزل الكاهن الميداني «وليام دوناي» بركة الرب، على بعثة هيروشيما من خلال الصلاة التالية: «أيها الأب العلي القدرة الذي يصغي إلى صلوات من يحبونه، نرجوك أن تقف إلى جانب من يحلقون في أعالي سمائك لينقلوا القتال إلى أعدائنا... نضرع إليك أن تجعل نهاية الحرب وشيكة كي ننعم من جديد بالسلام على الأرض... سنواصل معتمدين عليك طريقنا لأننا نعرف أننا تحت حمايتك: الآن وإلى الأبد... آمين، استجاب الرب لدعائه»^(٢).



(١) الطياران اللذان قادا الطائرة التي ضربت هيروشيما.

(٢) المصدر السابق (١٩٧ - ١٩٨).



الفصل الثاني

دعوى التسامح الديني لدى النصارى الدعوى والواقع

لقد نشأت حركة تسامح في زمن الإصلاح في المذاهب والمجتمعات المسيحية في أوروبا، وإن كانت ضعيفة وفردية في جوانب كثيرة. ثم إنها جميعها تدعو للتسامح مع المسيحيين من الطوائف الأخرى. إلا في المعاداة للإسلام والمسلمين، فتختفي دعوى التسامح لتحل محلها «الفوبيا» بتصوير الإسلام على أنه العدو الأكبر للمسيحية.

يعترف أحد أكبر من أرخوا للتسامح في عصور الإصلاح بقلة المعلومات وتشويشها في هذا الجانب.

يقول «جوزيف لوكير»: «نحن على يقين من أن المعلومات التاريخية حول هذه الأمور تشكو من الغموض، والتقطع لدى كثيرين من معاصرنا، إذا ما عسانا نعرف، في الأحوال العادية، عن تطور مسألة التسامح منذ بداية العصور الحديثة؟»

إن المعلومات المتوافرة لدى اللاهوتيين؛ بل المؤرخين أيضاً، تبقى مشوشة، إن لم تكن مغلوبة، في معظم الأحيان باستثناء بعض الشخصيات الشهيرة، والأحداث الباهرة، ولا لوم عليهم؛ لأن وضع الأبحاث الراهن حول هذا الجانب من التاريخ الديني هو أقل تطوراً مما يمكن تصوره، وما أسهل التحقق من ذلك! (١).

ويقول الأبوان جوزيف كوك «J.Cuoq»: و«لويس غارديه «L. Cardet»

(١) تاريخ التسامح في عصر الإصلاح (١٧ - ١٨).

في الكتاب الذي أصدره باسم الفاتيكان عقب المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥م): «يجب علينا كمسيحيين ونحن نخطب المسلمين؛ أن نفكر قبل كل شيء في صعوبات وعوائق الحوار مع المسلمين، والتي تتعلق بنا إلى حد كبير، وإلى الظلم والجور الذي أحاط به الغرب ذو التربية المسيحية المسلمين واقترب ذنباً وأثاماً عديدة بحقهم؛ المرارة العميقة قبل كل شيء يجب أن نأخذ في اعتبارنا أن العصور الماضية كالسنوات الحالية قد تركت في الأذهان والأفكار، وخاصة في بعض المناطق، مرارة عميقة حيال الغرب. إن المسيحيين قد أوقفوا؛ بل حطموا انطلاقهم الحضاري نتيجة الحروب الصليبية التي أسهمت بوضع حد لأكثر الأوقات ازدهاراً في التاريخ الإسلامي، يضاف إلى هذا الاستعمار الذي حال دون نهضتهم التي بدأت بشائرها تظهر في القرن التاسع عشر علينا أن نعترف بكل أمانة وصدق بالمظالم التي ارتكبتها الغرب، وأن نعطي الدليل بأننا نتخلى عن تضامننا مع التفكير والذهنية اللتين سادتا الماضي، ومع بعض التصرفات في الوقت الحاضر لنتحرر من أفكارنا المسبقة. فمن الضروري أن لا نستسلم لهذه النظرات والآراء السريعة والكيفية والاعتباطية في أكثر الأحيان والتي لا تنطبق إطلاقاً على المسلم المخلص والصادق...»^(١).

يقول الدكتور «رضوان السيد»: «ظهر مجال بحثي جديد هو ما عرف بصراع الحضارات أو حوارها، والذي ابتدعه «برنارد لويس» وركز عليه «هنتنغتون» في كتابه المعروف: صدام الحضارات (١٩٩٣ - ١٩٩٦م). وكان يمكن القول: إنه لا شأن لهذه الاهتمامات المستجدة لدى الأمريكيين والأوروبيين بأوروبا الوسيطة، لولا أن العلاقات بين الغرب والإسلام، وبين العرب والغرب في العقدين الماضيين، أفضت لتأمل العلاقة الوسيطة المتأزمة، ودور الإسلام فيها، بدلاً من التركيز على المسؤولية الأوروبية عن

(١) نقلاً عن كتاب: صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى؛ لريتشارد سودزن (١١)



الجهل والتوتير ومحاولات الإلغاء بالحروب الصليبية، ثم بالغزوات الاستعمارية. وهكذا جرى استخدام «تاريغانيات لويس»، ونظريات «أرنست غلنز» الأنثروبولوجية، لإلقاء المسؤولية على كاهل الإسلام منذ ظهوره في القرن السابع وحتى اليوم»^(١).

وسنذكر هنا رموز دعاة التسامح في عصر الإصلاح في العصور الوسطى وما قبلها وما بعدها وكيف أنهم هم بأنفسهم دعاة الخوف من الإسلام، وصنّاع الفوبيا ضد الإسلام، ومنظرو الحرب العادلة ضده.

(١) «يوحنا الدمشقي»: اسمه منصور بن سرجون ولد في دمشق عام (٦٧٥م) تمتع بتسامح كبير من المسلمين وعمل وزيراً لبعض الأمويين وكان كاتباً وجابياً للضرائب إلى أن سرحه الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز سنة (٧٢٠م) فانعزل في دَيْر «مارسابا» ببيداء البحر الميت بفلسطين، وألف الكتب في الرد على الإسلام ومهاجمته إلى أن رسمه البطريك «يوحنا الخامس الأورشليمي» كاهناً، وأصبح مستشاره الخاص.

يعتبر: يوحنا الدمشقي رأساً في مهاجمة الإسلام ورسم صورة الفوبيا عنه. يقول المفكر الفرنسي «روجيه جارودي» عن دير «مارسابا»: «في عام (٤٧٨م) أقام أحد النساك الذين ظل يجوب في صحراء يهوذا على مدى خمس سنوات وعُرف فيما بعد باسم «القديس سابا» في مغارة تقابل دير ما تزال آثاره ماثلة حتى اليوم، راح مريدوه يتوافدون عليه، ثم أقيم عام (١٠٠٥م) على المغارة دير يعد من أشهر الأديرة في الشرق، وقد مرّ بهذا الدير أو عاش فيه قديسون كبار كالقديس «تنيودور» والقديس «كير بلوس»، ولا سيما الشخصية المرموقة: القديس «يوحنا الدمشقي» (٦٧٥ - ٧٥٣م) الذي أمضى في هذا الدير ثلث القرن، وكتب فيه كل أعماله التي تعد نقطة انطلاق لحوار بين المسيحيين والمسلمين، ولكن بصيغة جدلية هجومية»^(٢).

(١) مقدمة كتاب: صورة الإسلام في أوروبا (٦).

(٢) المصدر كتاب: مخطوطات البحر الميت، قصة الاكتشاف؛ لأسامة العيسة (٦٨ - ٦٩).

ثم يقول جارودي: «إن يوحنا الدمشقي في صومته بدير القديس سابا في فلسطين التي أصبحت مسلمة، كان يناظر بحرية، ويجادل مبادئ الإسلام نفسه، ويدافع عن العقيدة المسيحية الرسمية»^(١).

فها قد استفاد يوحنا الدمشقي من جو الحرية التي توفرت له في حكم المسلمين وتحت حمايتهم ليهاجم الإسلام ويعدده هرطقة ويدعو إلى حربه، ويدعو إلى عقيدته المسيحية؛ في الوقت الذي يصدر البيزنطيون المسيحيون من بني دينه حرماناً قاسياً في حق يوحنا الدمشقي.

فقد عقد الإمبراطور البيزنطي «كونستانتين كوبرونيم» مجمعاً مسكونياً من (٣٣٨) أسقفاً ليصدروا الحرمان الآتي:

«اللعة على منصور بن سرجون الذي خان المسيح، والذي يميل قلبه على المسلمين، اللعة والحرمان لعدو الإمبراطورية يوحنا الدمشقي المبشر بالجنود والمعظم للأيقونات»^(٢).

ألف يوحنا الدمشقي كتاب (ينبوع المعرفة) وفي القسم الثاني في هذا الكتاب: (حول الهرطقة) «De Haeresibus»، جعل الإسلام ضرباً من الهرطقات، وجعل النبي ﷺ يتلقى معلوماته من راهب آريوسي، وأن تعاليم محمد بصدد شخص المسيح هرطقة مسيحية ذات طابع آريوسي.

وهو هنا يكرر ما سبق أن قاله المشركون أعداء النبي ﷺ: أنه يتلقى القرآن من رجل رومي اسمه «بلعام» أو «جبر» أو «يعيش» أو غير ذلك^(٣).

وقد ردّ الله ذلك وكذبه بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبْنِي وَهَذَا لِسَانُ عَرَبٍ مُّثَبِّتٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: حاشية تفسير الطبري لأحمد شاكر (٥٤/١).



ولقد تلقى النصارى هذا التهافت عن يوحنا الدمشقي مع تغييرهم في الشخصية التي يتلقى منها النبي ﷺ تعالىمه.

يقول لود فيغ هاغمن: «هذه الأطروحة الخاصة بتأثر محمد براهب مسيحي تظل المرة بعد الأخرى، تلغي التأييد والاحتضان على مدى التقليد الطويل الخاص بالجدل المذهبي المعادي للإسلام سواء أكان ذا مصدر بيزنطي أم لاتيني...»

وفي الروايات البيزنطية واللاتينية اللاحقة يصبح الراهب الآريوسي الذي ورد الحديث عنه عند يوحنا الدمشقي: «سرجيوس» أو «نسطوريوس» أو «جيورجيوس» أو «نيقولاوس»... إلخ.

ومرة يظهر على أنه نسطوري، ومرة يظهر من أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة، ومرة يظهر مرتداً وحتى مؤلفاً للقرآن، ويصور على أنه مصدر غامض لمعلومات محمد^(١).

وهذا ما يكشف شيئاً من الحكمة العظيمة لاهتمام القرآن الكريم بهذه الفرية التي أطلقها المشركون ضد النبي ﷺ. فلعلم الله تعالى أن هذه الفرية سيتلقاها هؤلاء القسس وغيرهم جيلاً بعد جيل ويرددونها في بلاد وبلادة ذكرها الله تعالى في القرآن وأبطلها بدليل عقلي مدرك ملموس فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِيْ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّثْبِتٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [النحل: ١٧٣].

قال الإمام الطبري رحمه الله: «ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلاً منهم: إنما يعلم محمدًا هذا الذي يتلوه بشر من بني آدم، وما هو من عند الله، يقول الله تعالى ذكره مكذبهم في قيلهم ذلك: ألا تعلمون كذب ما تقولون، إن لسان الذي تلحدون إليه، يقول: تميلون إليه بأنه يعلم محمدًا

(١) كتاب: مسيحية ضد الإسلام (٤٦ - ٤٧).

أعجمي؟ وذلك أنهم فيما ذكر كانوا يزعمون أن الذي يعلم محمداً هذا القرآن عبد رومي فلذلك قال تعالى: ﴿لَسَا تُؤْتِيهِمْ لِسَانُكَ لِتَكُونَ مِنْهُمْ أَوْ يَكُونَ مِنْهُمْ لِسَانُكَ أَوْ يَكُونَ مِنْهُمْ لِسَانُكَ أَوْ يَكُونَ مِنْهُمْ لِسَانُكَ﴾، يقول: وهذا القرآن لسان عربي مبين^(١).

(٢) بطرس المبجل: هو رئيس دير كلوني (١٠٩٤ - ١١٥٣م)، يدين له الغرب المسيحي بأنه صاحب أول ترجمة للقرآن في القرن الثاني عشر الميلادي، وقام بها في مدينة طليطلة الإسلامية وهو يتمتع بالحرية تحت حكم المسلمين.

(١) أنجز أول ترجمة إلى اللاتينية قام بها بمساعدة «روبرت الكيتوني»، وأنجزت عام (١١٤٣م).

وحتى نعلم خطورتها في تشويه الإسلام والقرآن وأنه مصدر للشر والخوف، وحتى نعلم دورها في صناعة الفوبيا الإسلامية، نقرأ ما يقوله «لود فيغ هاغمن»: «وحيث قُدر في القرن السادس عشر للترجمة الكيتونية للقرآن أن تطبع مرة في بال تحولت إلى موضوع نزاع بين المسيحيين، إذ ذهب فريق منهم إلى تأييد طبعها، ومال آخرون إلى إعلان معارضتهم لذلك، ولم يُصرح بطبعها إلا في (١١) كانون الثاني عام (١٥٤٣م) بناءً على تدخل من «مارتن لوثر».

وقد وقف مارتن لوثر إلى جانب الطبع المتنازع عليه في تلك الأيام بتسويغ ورد في قوله: «لأن المرء لا يستطيع أن يلحق بمحمد أو بالأتراك شيئاً أكثر إثارة للغضب، ولا أن ينالهم بضرر وإيذاء مما أشد من كل ما عداهما من الأسلحة كالذي يلحق بهم حين يكشف عن قرآنهم لدى المسيحيين، لكي يروا كم هو كتاب ملعون، شائن إلى أقصى الدرجات وكم هو حافل بالأكاذيب والخرافات وكل الفظائع»^(٢).

(١) تفسير الطبري (٦٤٦/٧ - ٦٤٧).

(٢) مسيحية ضد الإسلام (٦٩).



﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

(ب) يكرر بطرس المبجل فرية يوحنا الدمشقي السابقة من أن النبي ﷺ تلقى معلوماته من راهب نسطوري ولكن بطرس المبجل جعله: «سرجيوس النسطوري».

ويقول بطرس المبجل في رسالته إلى «برنارد فون كليرفو»: «إن سرجيوس هذا جادل في ألوهية المسيح، وكسب محمداً إلى جانبه في هذا الاعتقاد»^(١).

(ج) ثم ألف كتابه الحافل: «الخلاصة الجامعة لهرطقات المسلمين» ليكون مرجعاً موثقاً لكل من هاجم الإسلام من قسس ورهبان النصارى بعد^(٢).

(٣) توما الأكويني «Thomas Von Aquin»، (١٢٢٥ - ١٢٤٧م):

(أ) يعترف توما أن الإيمان لا يجبر أحد عليه ولا يكون بالإكراه.

يقول في «الخلاصة اللاهوتية»: «من غير المؤمنين من لم يتم تبشيرهم بالإيمان، كاليهود الوثنيين، هؤلاء لا ينبغي أن يدفعوا إلى الإيمان دفعاً؛ لأن الإيمان قضية طوعية»^(٣).

ولكن لتوما الأكويني موقفان متناقضان.

ففي شأن الوثنيين واليهود في أوروبا أظهر تسامحاً ملفتاً للنظر.

وأما في شأن المسلمين الذين يعدهم (هرطقة) فالإعدام والحرب والقسوة هي موقف توما منهم. حيث يشرع لإعدامهم ويضع كما سنرى أصول الحرب العادلة المقدمة ضدهم.

(١) المصدر السابق (٤٧).

(٢) المصدر السابق (١١٤).

(٣) الخلاصة اللاهوتية (٢٢).

يقول «جوزيف لوكير»: «أما القديس توما فإن قسوته على الهرطقة لن تمنعه، كما سنرى من أن يظهر تسامحاً مع الوثنيين، وإذا كان قد حرم كل تواصل بين المؤمنين والهرطقة أو المحرومين، فتد أجازة عموماً مع اليهود وغير المؤمنين»^(١).

لذلك يشترع أنه مع هؤلاء الوثنيين الخاضعين زمنياً للكنيسة، فليس للكنيسة إدانتهم على المستوى الروحي ولا إرغامهم على الإيمان المسيحي.

أما الهرطقة فلهم شريعة أخرى. فيقول توما: «يجوز معاقبة الهرطقة بصرامة تفوق تلك التي يستحقها المذنبون بجريمة القدح والذم الملكيين... لذا كان العدل أن يحكم عليهم بالموت»^(٢).

(ب) ألف توما الأكويني كتاب «الخلاصة ضد الأئمين» وقد ألفه بإيعاز من: «ريموند دي بينا فور» (Raimund Von Pena Fort) أحد كبار نظام رهبانية الدومينيكان الذي كان يعمل في تبشير المسلمين ونشر المسيحية بينهم بإسبانيا.

يقول لود فيغ هاغمن: «تشير كل المظاهر إلى أن كتاب «الخلاصة ضد الأئمين» كان يقصد به أن يكون كتاباً تعليمياً للكلديات التي أنشأها نظام رهبانية الدومينيكان لتدريب مبشري المستقبل»^(٣).

(ج) ثم يضع توما الإكويني بنفسه المعايير الأخلاقية والمسوغات الكتابية التي تسوّغ أي حرب ضد الأئمين (المسلمين) وهي التي توارد قسماً ورهبان وباباوات النصارى على تسميتها «الحرب العادلة».

يقول لود فيغ هاغمن: «أما تاريخ المسيحية الغربية فقد وضع من

(١) تاريخ التسامح في عصر الإصلاح (١١٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) مسيحية ضد الإسلام (٧٨).



جانبه متأثراً بالأفكار الفلسفية في العصر القديم، النظرية التقليدية عن الحرب العادلة «bellum iustum»، وكان هذا في الحقيقة في تناقض واضح مع المسيحية في أقدم أشكالها، وهي التي كانت تتخذ لنفسها من الحرب والخدمة العسكرية مكاناً قصياً وكان الرائد في هذا: «أوغسطينوس» بين عامي (٣٥٤ - ٤٣٠م) وكان منطلقه في الاحتجاج على الهرطقة هو ما ورد في لوقا (٢٣: ٢٤): «أخرج إلى الطرقات والدروب وألزم الناس بالدخول حتى يمتلئ بيتي».

أفادته عبارة: «ألزم الناس بالدخول «Compelle intrare»، في تسويغ حرب عادلة على الهرطقة... ويذكر توما الأكويني بالاستناد إلى أوغسطينوس المعايير الأخلاقية التي يمكنها كما يرى أنه تسوّغ أي حرب من الحروب»^(١).

وهذه معايير توما للحرب ضد الكفار:

(١) السلطة الشرعية هي السلطة المختصة التي تُشنّ الحرب بأمر منها.

(٢) مستوى الوسائل والقدرات.

(٣) السبب الذي يسوغ الحرب، كالدفاع عن النفس والإحساس بالظلم ونشر الإيمان والعدل.

(٤) النية الحقيقية التي تنطوي على هدف يتمثل في خدمة السلام.

يشرح لود فيغ هاغن هذه النية الحقيقية فيقول: «فالنية الحقيقية الماثلة في هذه النظرية عن الحرب العادلة لم تكن بموجب ذلك حصر الحرب بجملة من المعايير الأخلاقية، أي: أن السؤال الأساسي لم يكن: كيف أستطيع أن أنشئ ضميراً حياً من أجل الحرب؟ بل كان: بأي معايير

(١) مسيحية ضد الإسلام (٥٠).

تقييدية يوصي الرب بالحرب في كل الأحوال»^(١).

(٤) «مارتن لوثر»: الكاهن الألماني الشهير (١٤٨٣ - ١٥٤٦م).

كتب لوثر (١٥٢٠م): «الإيمان وحده يكفي المسيحي فلا حاجة به إلى عمل، وبالتالي فهو في حلّ من الوصايا والشرائع كلها، ومتى تأكد ذلك فقد تأكدت حرّيته بالفعل تلك هي الحرية المسيحية التي يولدها الإيمان»^(٢).

أحدث لوثر نقلة إصلاحية لا يستهان بها. فقد حدد معالم الحرية المسيحية باختصار:

لا كهنوت يمارس باسم المسيح.

المساواة بين جميع المسيحيين والكهنوت العام.

فالكنيسة الحقيقية هي جماعة المؤمنين المسيحيين.

والرابطة روحية تضم المسيحيين، المتحدّين بالمسيح عن طريق الإيمان.

وهو بذلك يسير كما يرى على خطى «بولس» المؤسس الحقيقي لهذه المسيحية عندما يقول: «لقد حررنا المسيح لكي نبقي حراراً فاثبتوا إذاً ولا تدعوا أحداً يعود بكم إلى نير العبودية»^(٣).

ولقد حدد بعضهم ما أحدثه لوثر من إصلاح في المسيحية في عدة أمور:

- تعزيز مكانة الضمير عملاً بالأنجيل ووسائل القديس بولس.

(١) المصدر السابق (٥٠).

(٢) نقلاً عن كتاب: تاريخ التسامح في عصر الإصلاح (١٩٨).

(٣) الكتاب المقدس، العهد الجديد، الرسالة إلى أهل غلاطية، الإصحاح: ٥ (١).



- مبدأ الحرية من أجل الدخول في الإيمان.
- مبدأ الحسم الإيماني للإيمان المطلق بالمحبة على حد قول بولس: «إن عملنا للحق بالمحبة نمونا وتقدمنا في جميع الوجوه»^(١).
- استقلال الكنيسة عن المجتمع السياسي.
- لا يمكن لأحد فرض قوانين على المسيحيين إلا في حال موافقتهم عليها لأنهم أحرار في كل شيء.
- الكتاب المقدس فقط هو قاعدة الإيمان الموضوعية، ولا يقيد الضمائر شيء إلا كلمة الله، وأن الكتاب المقدس واضح من تلقاء ذاته ويقيني يفسر نفسه بنفسه»^(٢).
- وقع تطور لافت في حياة لوثر الفكرية. فقد كان يسجل موقفاً متسامحاً مع الهرطقة والكفار ويدخل في هذا - اليهود والمسلمون - وكان يندد باستخدام العنف والإكراه لإدخال الناس في المسيحية.
- يقول جوزيف لوكليير: «كذلك يرفض لوثر بالفعل الإقرار بسلامة طرق محاكم التفتيش كتب عام (١٥٢٠م) يقول: «ولا ننتصر على الهرطقة بالنار؛ بل بالكتاب كما كان يفعل الآباء القدماء، ولو كانت البراعة تكمن في الانتصار على الهرطقة بالنار لكان الجلادون أعلم العلماء»^(٣).
- يقول لوثر: «الهرطقة شأن روحي، لذا كان يستحيل أن تضرب بالحديد، أو تحرق بالنار أو تغرق بالماء، وحدها كلمة الله تستطيع أن تجهز عليها؛ لأنه كما يقول القديس بولس: «ليس سلاح جهادنا بشرياً، ولكنه

(١) المصدر السابق، الرسالة إلى أهل أفسس، الإصحاح: ٤ (١٥).

(٢) انظر كتاب: تاريخ التسامح في عصر الإصلاح؛ لجوزيف لوكليير (٣٧) و(١٩٩ - ٢٠٠)، وكتاب: عودة إلى التاريخ المقدس لنبيه بشير (٤٦ - ٤٧).

(٣) تاريخ التسامح في عصر الإصلاح (٢٠١).

قادر في عين الله على هدم الحصون^(١)»^(٢).

يقول لوثر: «ليس للسلطة المدنية أن تمنع أحداً من تعليم ما يشاء والإيمان بما يشاء سواء كان الإنجيل أم وهماً كاذباً»^(٣).

يسجل جوزيف لوكير تعجبه فيقول: «مثل هذا، التصريحات تبعث على العجب عندما نفكر بمدى اتساع السلطات الدينية التي ستعطى فيما بعد للأمرء في البلدان البروتستانتية»^(٤).

والتطور اللافت في حياة لوثر الفكرية هو تباين موقفه من كل من اليهود والمسلمين من جهة أخرى.

أما موقفه من اليهود: كان لوثر يعادي اليهود باعتبارهم قتلة يسوع المسيح وصالبوه. ثم لما آمن بحرفية الكتاب المقدس، وجد أن العهد القديم طافح بالثناء على شعب الله المختار (إسرائيل) وأنهم أبناء الإله (يهوه) وأنهم أصحاب التعاليم والشريعة، فانقلب لوثر معظماً لليهود أشد التعظيم، وأن تعظيمهم يدخل في الجذر الإيماني للمسيحي المؤمن بالكتاب.

حتى قال كلمته الأخيرة التي سجل منها موقفه الأخير المعظم جداً لليهود، قال لوثر: «يجب أن نكون لليهود كالكلاب التي تأكل من الفتات المتساقط من موائد أسياها»^(٥).

قامت على رؤى لوثر الدول البروتستانتية في أوروبا إلى قيام الولايات

(١) الكتاب المقدس: الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس، الإصحاح: ١٠ (٤).

(٢) تاريخ التسامح في عصر الإصلاح (٢٠٢).

(٣) المصدر السابق (٢٠٣).

(٤) المصدر السابق (٢٠٣).

(٥) نقلاً عن: موقف لوثر من اليهود. عبد الله المعراوي؛ مجلة الإنسان عدد (٤٩١) نوفمبر ١٩٩٥م.



المتحدة الأمريكية. و«إسرائيل» و«شعب الله المختار اليهود» في جذر الاعتقاد الإيماني المسيحي للوثرى البروتستانتى.

يقول «بيتر غروس» في كتابه (إسرائيل من منظور أمريكي): «إن الأمريكيين والإسرائيليين متحدون مترابطون معاً لا تشبههما في ذلك شعوب ذات سيادة، وبينما كان التراث اليهودي يجري في عقول المستوطنين الأمريكيين الأوائل، وساعدهم على تشكيل الجمهورية الأمريكية الجديدة، عملت إسرائيل على استعادة رؤى الحلم الأمريكي وحمله، لقد تلاحم التراث الأمريكي والإسرائيلي في كل واحد»^(١).

وتقول «كاثلين كريستن»: «يفترض في إطار المرجعية في انحيازه نحو إسرائيل وجود رابطة فريدة من نوعها بين الولايات المتحدة وإسرائيل تنبثق من تراث توراتي مشترك ومن اعتقاد في أنه يجب أن يحصل اليهود على وطن نتيجة المحرقة، ومن قرون طويلة من معاناة اليهود وبحثهم عن وطن، وكذلك من معرفة مميزة لدى الولايات المتحدة لما تسميه «الأسلوب الوطني» خاصة في بدايات الريادة، والتزامها بالديمقراطية الغربية، أما لدى البعض خاصة أولئك اليهود في أمريكا، والذين بثت فيهم إسرائيل مشاعر اليهودية الإسرائيلية؛ فإن العلاقة معهم تكافلية تعايشية»^(٢).

لقد كان للوثرية تأثيرها البالغ في تعظيم إسرائيل في العقل المسيحي البروتستانتى خصوصاً الأمريكي.

ومن العمل الدؤوب للبروتستانت في الغرب لدعم اليهود في عملية سطو لشطب الحقائق، وإلغاء التاريخ وتوريث من لا يستحق ما لا يستحق، ودعم عملية اغتصاب لا للأرض فقط؛ بل للإرث الحق والإنسان والزمان، استناداً إلى اعتقاد ديني وتأسيس لتوراتي ودعم من الكتاب المقدس.

(١) إسرائيل من منظور أمريكي (٩٧).

(٢) فلسطين في العقل السياسي الأمريكي (٢١).

ومن آخر محاولات تثبت هذا التجذير الديني للميهود وإسرائيل في الإيمان المسيحي البروتستانتي (اللوثري): بيان نُشر في شهر سبتمبر من عام (٢٠٠٠م) وقع عليه أكثر من (١٥٠) حاخاماً يهودياً يمثلون الطوائف اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية^(١)، مع المئات من القسوس والرهبان ورجال الدين البروتستانت وعنوانه: «دبرو آمت»، أي: (قولوا الحق).

واستغرق الإعداد له بضع سنوات لكنه أُعد بعناية فائقة.

وموضوعه الرئيس: العلاقة بين المسيحيين واليهود خصوصاً بشأن إسرائيل وأرض الميعاد وأحقية اليهود بها، وبشأن التبشير باقتراب بناء هيكل الرب بالقدس.

وسأسوق هنا بعض فقرات هذا البيان مع بعض التعليل عليها:

● **الفقرة الأولى:** «اليهود والمسيحيون؛ يعبدون الرب نفسه، وقبل المسيحية كان اليهود وحدهم الذين يعبدون رب إسرائيل. إلا أن المسيحيين أيضاً يعبدون رب إبراهيم وإسحاق ويعقوب^(٢)، خالق السماء والأرض. فإنه يسر علماء الإلهيات اليهود أن يكون الملايين من المسيحيين قد ارتبطوا بعلاقة مع رب إسرائيل».

هذه الفقرة تدل على علاقة تراتبية بين اليهودية السابقة الأصلية، التي لها حق التقدم باعتبار الأصل والسبق؛ وبين دين المسيحية اللاحقة الفرعية المنبثقة أصلاً من اليهودية ففيه تكريس الإشعار للمسيحي بالفوقية اليهودية والاستعلاء اليهودي.

(١) الطوائف اليهودية بالولايات المتحدة هي: التركيبون، والإصلاحيون، والمحافظون، والنموسيون. راجع: الموسوعة اليهودية؛ للدكتور عبد الوهاب المسيري..

(٢) قال الله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَكَ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وكما ترى في بيانهم تجاهلوا ذكر إسماعيل عليه السلام لأنه أبو العرب وجد النبي محمد ﷺ.



● **الفقرة الثانية:** «اليهود والمسيحيون يستمدون الشرائع من الكتاب نفسه «الكتاب المقدس» الذي يسميه اليهود «التاناخ» ويسميه النصارى «العهد القديم». نحن جميعاً نلجأ إلى هذا الكتاب، ونجد فيه الدروس نفسها: الله هو خالق الكون، الله أقام عهداً على شعب إسرائيل، الله في النهاية سوف يخلص إسرائيل».

هذه الفقرة تضع إسرائيل «الشعب اليهودي» في عمق وصلب الإيمان المسيحي، وهذا التعمق والتجذير هو تحضير تأسيسي للفقرة الآتية.

ولكن يلاحظ تجاهل البيان التام للعهد الجديد وأناجيل النصارى وعدم دعوة اليهود حتى لمجرد الاعتراف بها على أنها كتب مقدسة. ومع ذلك يتقبل المسيحيون هذا بصدر رحب ويحبون ويعظمون اليهود قتلة يسوع المخلص (ربهم) كما يزعمون، ومنكرو أناجيلهم المقدسة، ويصبون جام حقدهم وكرههم وحربهم للإسلام والقرآن الكريم الذي دافع أحسن الدفاع وأطيبه عن المسيح عليه السلام وأمه الصديقة مريم عليها السلام. أليس هذا أمر عجيب؟!.

● **الفقرة الثالثة:** «يمكن للمسيحيين احترام مطالبة الشعب اليهودي بأرض إسرائيل فالحدث الأهم لليهود منذ المحرقة، كان إعادة إحياء الدولة اليهودية في أرض الميعاد والمسيحيون يفهمون أن أرض إسرائيل موعودة وموهوبة لليهود حيث أنها المركز الفعلي للعهد القائم بينهم وبين الرب، فالمسيحيون يؤيدون دولة إسرائيل لاعتبارات أعمق من مجرد السياسة، ونحن كيهود نرحب بهذا التأييد».

إذن: فأرض الميعاد (فلسطين) أرض إسرائيل هي الجوهر الأساسي في الصيغة الأكثر انتشاراً للمعتقد اليهودي والتي تكاد تستبدل جميع الإيمان بالغيبيات والأنبياء والشرائع واليوم الآخر بالتأييد التام لإسرائيل. فإسرائيل إذن هي جوهر الإيمان والدين والمعتقد في الإيمان المسيحي البروتستانتى على وجه الخصوص.

وخطورة هذه الفقرة في هذا البيان تكمن في أنها ترسخ الترادف بين اليهودية كديانة، والصهيونية كحركة قومية سياسية، لأنها تنتزع تفسير الصهيونية من إطارها القومي أو السياسي لتجعلها في صميم الإيمان الديني.

يقول بول مركلي: «ما هو شديد الأهمية فيما يخص موضوعنا أن الأمر جعلهم يماهون أقدارهم الخاصة بمصائر اليهود التي تصوروا أنها منقوشة حرفياً في الكتب المقدسة التي كانت شرعة حياتهم الخاصة... كان من شأن الحماسة الأمريكية لإعادة اليهود إلى إسرائيل... الإيمان بأن أمريكا نفسها ضُبت في ذلك القلب منذ بداياتها الأولى وأن مصير إسرائيل يعانق مصيرها»^(١).

ويقول: «ولكن ما هو أقوى تعبيراً من سائر الأشياء الأخرى: هو التلميح إلى «حفيف الأجحة» في إشارة بالغة الوضوح إلى «النسر» الذي هو الشعار القومي للولايات المتحدة المنقوش على جميع شاراتها المميزة، والذي يُذكر: «وهذه ليست مصادفة» بدور «قورش» ملك فارس الذي يقول عنه أشعيا نفسه: «أنا الرب من المشرق أدعو الطير الكاسر، ومن البعيد من يحقق مقاصدي»^(٢)، ما لبث أن ظهر حقاً وقام حقيقة بإعادة اليهود إلى القدس المرة الأولى»^(٣).

● الفقرة الرابعة والأخيرة: «على اليهود والمسيحيين أن يعملوا معاً في سبيل السلام والعدالة وعلى الرغم أن العدالة والسلام في النهاية من الرب؛ فإن جهودنا المشتركة مع المؤمنين من سائر الديانات سوف

(١) الصهيونية المسيحية (٨٢).

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر أشعيا، الإصحاح: ٤٦ (١٠ - ١١) كذا نقلها الكاتب ونصها: (أدعو من المشرق كاسراً، ومن الأرض البعيدة رجل تدبيري... وسأجعل في صهيون الخلاص، ولإسرائيل يكون فخري).

(٣) الصهيونية المسيحية (٨٤).



تساهم في تحقيق ملكوت الله الذي نسعى إليه، وتقودنا في جهودنا هذه الرؤيا التي التزمها أنبياء إسرائيل».

هذه دعوة إلى العمل الإنساني الشامل وعبر المنظمات الدولية لكنها تعيد تأطيرها في قالب توراتي إسرائيلي مستوحى من الكتاب المقدس لإقامة مملكة إسرائيل.

وتعميقاً لهذا التأطير التوراتي يُختم البيان بنقل هذا النص من الكتاب المقدس:

«ويحدث في آخر الأيام أن جبل الهيكل الرب يصبح أسمى من كل الجبال، ويعلو فوق كل التلال، فتنوافد إليه جميع الأمم، وتقبل شعوب كثيرة وتقول: تعالوا لنذهب إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيعلمنا طريقه ونسلك سبيله، لأن من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم تعلن كلمة الرب، فيقضي بين الأمم، ويحكم بين الشعوب فيطبعون سيوفهم محارث، ورماحهم مناجل، فلا ترفع أمة على أمة سيفاً»^(١).

يضع هذا النص: الوعد بأن يحل الهيكل محل المسجد الأقصى في موضع مركزي في التاريخ.

تُرى هل من قبيل المصادفة أن العبارة الأخيرة في النص: «فيطبعون سيوفهم محارث ورماحهم مناجل، فلا ترفع أمة على أمة سيفاً»، مكتوبة على لوحة وموضوعة في مقر هيئة الأمم المتحدة بنيويورك!!؟

ونتيجة لهذه الجهود قامت منظمات أمريكية عدة متحمسة لتحقيق هذه الأهداف، من أشهرها:

- التحالف الوطني المتحد لإسرائيل (NUCI) وهو يضم تحت لوائه أكثر من (٢٠٠) منظمة تمثل أكثر من (٤٠) مليون أمريكي.

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر أشعيا، الإصحاح: ٢ (٢ - ٤).

- منظمة أصدقاء إسرائيل ويرأسها «إيلودوماك كايد» وتدور أهدافها حول تدمير المسجد الأقصى ليعيدوا مكانه بناء الهيكل اليهودي المزعوم.
 - المخلصون لأرض إسرائيل وجبل الهيكل. وهي منظمة ضخمة ونشطة يرأسها: «غريشام سولومون». وأما أهدافها فقد وضحتها «سولومون» نفسه في خطابه الذي ألقاه بتاريخ ٢٠٠٢/٩/٦م، في مركز المجتمع اليهودي في هيوستن قائلاً: (أستطيع أن أقول لكم: إننا نقرب من الأيام الأخيرة... هناك يقظة مذهلة في صفوف المسيحيين، ليس هناك يهود صهيانية؛ بل هناك مسيحيين صهيانية أيضاً، صوتي هو صوت الله، إن العيون والقلوب ترنو إلى القدس، إن دولة وشعب إسرائيل يقومون بواجبهما الإلهي وهو إعادة بناء الهيكل الذي بدوره إعادة بناء لمستقبل جديد ليس فقط لإسرائيل، وإنما للإنسانية جمعاء هذا الجيل في القدس هو المكان الأهم في الأيام الأخيرة لأن الله يقبم على ذلك الجيل... سوف يأتي المسيح المخلص سوف يأتي إلى القدس، إلى بيت الرب الجديد الذي أعيد بناؤه لأجله... فهو سيعود ليكون رباً إسرائيلياً، وسيتكلم العبرية فقط وعندما يجيء سيسمي المسيحيين الصهيانية، بأبناء يعقوب أو مواطني مملكة إسرائيل القديمة^(١).
 - أما موقف مارتن لوثر من الإسلام والقرآن والمسلمين، فهو المساهمة بقوة في صناعة «الفوبيا» الخوف من المسلمين، مهاجمة الإسلام، مهاجمة القرآن العظيم، خاتمة كتب الله المباركة وبكل طيش وضراوة وتصويره على أنه مصدر الشر في العالم.
- (أ) عمل لوثر بحماس شديد لإصدار أول طبعة لترجمة القرآن التي قام بها: «بترس المبجل» و«روبرت الكيتوني» وصدرت في (١١) كانون الثاني عام (١٥٤٣م) بإشراف مباشر من لوثر.

(١) انظر كتاب: إمبراطورية الشر الجديدة (٣٨٩ - ٣٩٠).



كتب لوثر بازدهاء بعد صدور هذه الطبعة: «لأن المرء لا يستطيع أن يلحق بمحمد أو بالأتراك شيئاً أكثر إثارة للغضب، ولا أن ينالهم بضرر - وإيذاء - هما أشد من كل ما عداهما من الأسلحة - كالذي يلحق بهم حين يكشف عن قرآنهم لدى المسيحيين لكي يروا كم هو كتاب ملعون، شائن إلى أقصى الدرجات، وكم هو حافل بالأكاذيب والخرافات وكل الفظائع»^(١).

ب) وظّف لوثر كل هذا سياسياً في حشد موقف مسيحي أوروبي صليبي ضد المسلمين العثمانيين الذين كانوا إذ ذاك يسجلون انتصارات باهرة. من سقوط بلغراد في أيديهم عام (١٥٢١م) إلى ضم كامل المجر عام (١٥٤١م) ثم قبرص التي تعد آخر قاعدة بحرية مسيحية في الشرق.

يقول لود فيغ هاغمن: «يجب النظر إلى موقف مارتن لوثر من الإسلام على أساس الخلفية لهذا الموقف السياسي العسكري، لأن «الأتراك يقتربون منا ...» هكذا سوّغ رسالته: «عن الحرب ضد الأتراك» Vom Kriege Widder die Turken العائدة لعام (١٥٢٩م) في تقديمها إلى الأمير «فيليب فون هيسن»، وعبر فيها في الوقت ذاته عن ذلك الخوف الذي استحوذ على أوروبا في كل مكان مما سمي: خطر الأتراك»^(٢).

ج) لقد شنّ لوثر هجوماً كبيراً على الإسلام والقرآن والنبي ﷺ وقد كان يدير جداله للإسلام على محورين أساسيين ظاهرين في كتاباته:

المحور الأول: أن الشيطان هو الذي حرّض محمداً ﷺ وأن القرآن من وضع وتأليف الشيطان.

يقول لوثر: «ولما كان روح الكذب قد استحوذ على محمد، وكان الشيطان قتل الأرواح بقرآنه وأفسد عقيدة المسيحيين؛ فإنه لم يكن له بد أن يخرج ويمتشق سيفه، ويهاجم الأجساد ليقتلها، وعلى هذا فلا سبيل إلى

(١) نقلاً من: مسيحية ضد الإسلام (٦٩).

(٢) المصدر السابق (١٢٩).

العقيدة التركية بالمواعظ والأعمال العجائبية بل وصل الأمر إلى القتل بالسيف»^(١).

المحور الثاني: أن الإسلام إنما انتشر نتيجة للأعمال العسكرية. وقد ظل أهل الجدل المذهبي المسيحيون المعادون للإسلام يمثلون هذه الأطروحة أيضاً المرة بعد المرة، ومارتن لوثر لا يشكل هنا استثناءً، كما يقول لود فيغ هاغمن^(٢).

(٥) بابا الفاتيكان: «يوحنا بولس الثاني»:

منذ انعقاد المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥م) أصبح الفاتيكان يلعب دوراً خطيراً في تحريك الأحداث السياسية وتوجيهها.

يعبر «يوحنا بولس الثاني» بابا الفاتيكان السابق عن هذا بقوله: «إن الكرسي الرسولي يسعى للتدخل لدى حكام الشعوب والمسؤولين عن مختلف المحافل الدولية أو الانضمام إليهم بمحاورتهم، أو إخضاعهم على الحوار لمصلحة المصالحة وسط صراعات عديدة»^(٣).

في هذا المجتمع تم تقرير أمرين انبنى عليهما توجه وأعمال الفاتيكان بعد ذلك.

الأمر الأول: تبرئة اليهود من دم المسيح.

ظل النصارى على مختلف طوائفهم يرددون في كل قداس ولمدة ألفي عام، التباكي على دم المسيح المصلوب لخلاص البشرية.

ثم يأتي الفاتيكان ليلغي ذلك بإعلان تبرئة اليهود من دم المسيح!!!

(١) نقلاً عن: مسيحية ضد الإسلام (١٣٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) الجغرافيا السياسية للفاتيكان (٢٧٠).



في إلغاء لجوهر الاعتقاد المسيحي. ويصمت نصارى العالم على ذلك!!!

أم هي مصالحة سياسية لتوحيد صفوف المسيحيين مع اليهود في مواجهة الإسلام!!؟

في الوقت الذي لم يغير يهودي واحد موقفه من المسيح وأمه والمسيحية وأناجيلها.

في إنجيل يوحنا: قال المسيح لليهود: «قد عرفت أنكم تطلبون قتلي، إن كلامي لا محل له فيكم»^(١).

قال له اليهود: «الآن عرفنا أن بك مساً من الشيطان»^(٢).

فأخذوا حجارة ليرموه بها، فتوارى يسوع وخرج من الهيكل»^(٣).

الأمر الثاني: الدعوة التي أعلنها البابا «يوحنا بولس الثاني» لإعادة تنصير العالم «La Ree Vangelisation du Monde».

وأعلن ذلك في «كمبوستيل» بشمال غرب إسبانيا سنة (١٩٨٢م).

«يمثل هذا الإعلان ومطالبة البابا بتنصير العالم، نقطة تحول جذرية، تعد بمثابة إعلان حرب صليبية جديدة، تماثل تلك التي أعلنها البابا «أدريان الثاني» عام (١٠٩٥م) فمما له مغزاه أن هذه المدينة: «كمبوستيل شانت يقب» هي آخر ما امتد إليه الفتح الإسلامي، وقد ازدادت أهميتها بعد القرن الحادي عشر، ومعركة الاسترداد لتصبح مزاراً يحج إليه مسيحيو الغرب»^(٤).

تأججت نار العداوة للإسلام في ذلك المجمع الفاتيكاني، ورموزه،

(١) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح: ٨ (٣٧).

(٢) المصدر السابق: الإصحاح: ٨ (٥٢).

(٣) المصدر السابق: الإصحاح: ٨ (٥٩).

(٤) الفاتيكان والإسلام؛ للدكتور: زينب عبدالعزيز (١٩).

وأصبحت تطلق بعد ذلك الدعوات لصناعة «الفويا» من الإسلام. وحشد المسيحيين واليهود وأصحاب الديانات الأخرى لحربه وإيقافه.

ويمثل الفاتيكان و«يوحنا بولس الثاني» وخليفته من بعده «بيندكت» السادس عشر، الرأس في ذلك.

يقول «موريس بوكاي»: «إن المسيحية لا تأخذ في الاعتبار أية ديانة بعد المسيح ورسله وبذلك فهي تستبعد القرآن»^(١).

ويقول «الأب كاسبار»: «إن هناك من بين رجال الدين الحاضرين من يعتبرون أن الإسلام خطأ مطلق لا بد من رفضه؛ لأنه يمثل خطراً بالنسبة للكنيسة ولا بد من محاربته»^(٢).

ولذلك يعتبر «لود فيغ هاغمن» أن مسيحيي العصر الحاضر والفاتيكان قد فوتوا فرصة ذهبية لفهم الإسلام والتعايش مع المسلمين إذ سلكوا مسلك القدماء في صناعة الفويا وإرادة تنصير المسلمين.

يقول: «لم يتحقق مطلب الكنائس المسيحية في العصر الحديث التغلب على الإسلام عن طريق التبشير؛ بل على النقيض: إذ أجم في سياق الاستعمار نار مزايا جديدة عند المسلمين، وفي هذا الوقت فوت المسيحيون فرصة مناقشة الإسلام بحكم كونه ديانة عالمية، بأسلوب موضوعي وبناء، من دون نوايا تتصل بالجدل المذهبي، والدفاع عن العقيدة مع التحرر من ادعاءات الحق المذهبية وألوان القسر العقدي»^(٣).

أطلق المجمع الفاتيكاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥م) دعوة لاحترام المسلمين. واستبشر بها خيراً؛ في أنها تفتح لتوجه جديد في التعامل مع الإسلام، رغم أن المسلمين يعيشون المرارة مما أحدثته الحروب الصليبية والاستعمار،

(١) نقلاً عن المصدر السابق (٢٠).

(٢) نقلاً عن المصدر السابق (٢٠).

(٣) مسيحية ضد الإسلام (١٥٩).



وطرد المسلمين من شرق أوروبا ومساهمة المسيحية باحتلال فلسطين ومنحها لليهود.

نجد ضمن قرارات هذا المجمع التصريح في العلاقة بين الكنيسة والديانات غير المسيحية: «تنظر الكنيسة باحترام كبير أيضاً للمسلمين، الذين يعبدون الله الواحد الأحد الحي، والكائن بذاته والرحيم والقادر على كل شيء، وخالق السماء والأرض، الذي تحدث إلى البشر. وهم يجتهدون في الامتثال لتوجيهاته الخفية أيضاً، بكل قلوبهم، مثلما امتثل إبراهيم لأمر الله، وهو الذي يسر العقيدة الإسلامية أن تستند إليه، أما يسوع الذي لا يعترفون به إلهاً فيمجدونه مع ذلك رسولاً... ولما كانت الأمور انتهت مع ذلك على مر القرون إلى بعض الخصومات، وأنماط العداوة بين المسيحيين والمسلمين؛ فإن مؤتمر الكنائس المقدس يذكر الجميع بوجوب طرح الماضي جانباً، والسعي المخلص إلى التفاهم المتبادل، والوقوف معاً من أجل صيانة العدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية، وأخيراً وليس آخراً من أجل صيانة السلام والحرية للبشر»^(١).

هذا الكلام وهذه الدعوة للحوار مع المسلمين لا تغني عن حقائق مهمة، بل هي كشفت عن وجهين للفاثيكان: وجه يظهر التسامح ويدعو للحوار.

ووجه حقيقي يعمل بجهد لتنصير العالم وتحييد الإسلام، وشرعنة حروب الإبادة للمسلمين.

إن الكنيسة الغربية لا تعترف بالإسلام كدين سماوي ولا بمحمد كنبى ولا بالقرآن ككتاب مقدس.

يذكر «الأب ميشيل لولنج» هذه الحقيقة فيقول: «إن الكنيسة تعتبر

(١) المصدر السابق (٦٥ - ١٦٦).

المسيح خاتم الرسالة، لذلك فهي لا تعترف بنبي الإسلام الذي أدانه المسيحيون بصورة سلبية تهجمية عدوانية، والمؤلفات العديدة بكل أسف تشهد على ذلك».

كتب لولنج هذا سنة (١٩٨٢م) بعد زيارته للبنان وهو عضو بارز في جمعية الحوار الإسلامي المسيحي.

«لم يعد مفهوم الحوار مثلما جرى العرف، على أن يتبادل طرفان المناقشة الموضوعية والتي تحسم لصالح الأرجح منطقياً، وإنما أصبح الحوار يعني في نظر الكرسي الرسولي: فرض الارتداد والإجبار على الدخول في سر المسيح، مع مراعاة الاحترام، والود ومظاهر التقدير وعدم الدخول في مناقشات عقائدية يصعب على المبشرين الإفلات منها أو التغلب عليها لذلك يوصي المخططون بالبحث عن نقاط مشتركة سواء في العبادات أو في المظاهر اليومية واستغلالها كمنافذ للتسلل من خلالها للنيل من الإسلام»^(١).

يسعى الفاتيكان و«يوحنا بولس الثاني» خصوصاً على العمل الدؤوب على نشر رسالة الإنجيل في العالم كله، والمسلمين على وجه الخصوص ومن خلال ما يلي:

١) عقد المؤتمرات التنصيرية باستمرار للعمل على إحداث اختراق ذي قيمة للعالم الإسلامي والمسلمين.

- مؤتمر «لوزان» (١٩٧٤م).
- مؤتمر «كولورادو» الشهير (١٩٨٧م) والذي حضره أكثر من (١٥٠) عالماً مسيحياً متخصصاً في شؤون التنصير. وتمت فيه دراسة أربعين

(١) الفاتيكان والإسلام؛ د. زينب عبدالعزيز (٩ - ١٠).



بحثاً تناول كل بحث منها منفذاً ومدخلاً للعمل لتنصير المسلمين في العالم الإسلامي كله^(١).

- مؤتمر مسيحيي الشرق المنعقد في باريس عام (١٩٨٥م).
- وآخر ذلك المؤتمر المسيحي الكبير المنعقد بالفاتيكان في خريف عام (٢٠١١م). وحضره ممثلون من جميع نصارى وكنائس العالم خصوصاً المشرقية منها من مصر والشام والعراق وغيرها. ولا تزال قراراته طي الكتمان.
- ب) إنشاء عدد كبير من المنظمات والمؤسسات التي تعمل للتنصير وبثها وزرعها في مختلف بلدان العالم. والعالم الإسلامي على وجه الخصوص منها على سبيل المثال:
 - منظمة إيمانويل.
 - منظمة أسد يهوذا.
 - الصحوة الكاريزماتية الكاثوليكية.
 - القربان والتحرر.
 - البؤر الصغيرة.
 - عمل الرب... وغيرها.
- ج) أطلق الفاتيكان قمراً صناعياً خاصاً به وهو مشروع «لومن ٢٠٠٠» الذي يمطر العالم كله برسالة الإنجيل.
- د) العمل الفاتيكاني برعاية «يوحنا بولس الثاني» على تكوين الكنيسة

(١) انظر هذه البحوث والأعمال والتوصيات لمؤتمر كولورادو في كتاب: التنصير، خطة لغزو العالم الإسلامي. وهو ترجمة لما نشرته دار (MARC) بعنوان: The Gospel and Islam! ونشر سنة ١٩٧٨م.

العالمية الواحدة لتوحيد العقيدة المسيحية تحت لواء الكاثوليكية وفرضها على الصعيد العالمي.

هـ) في ما يتعلق بفرض التنصير على العالم الإسلامي فقد أصدر الفاتيكان برعاية «يوحنا بولس الثاني» كتاب «التفسير الديني الجديد للكنيسة الكاثوليكية العالمية» وقد صدر في نوفمبر من عام (١٩٩٢م) وقد صدر بمناسبة الاحتفال بمرور ثلاثون عاماً على ذكرى المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني.

ففي البند التاسع من فصل: عقيدة الإيمان بالكنيسة الكاثوليكية المقدسة.

نجد النص: «أما فيما يتعلق بالذين لم يقبلوا الإنجيل بعد، بأشكال مختلفة فهم أيضاً مأمورون بأن يصبحوا شعب الله»^(١).

ثم في نص آخر يقول الكتاب: «إن هدف الخلاص يتضمن أيضاً من يعترفون بالخالق:

أولاً: المسلمون الذين يؤمنون بإبراهيم، ويعبدون معنا الله الواحد، الرحيم حاكم الناس في اليوم الآخر»^(٢).

يعلق الأب «كاسبار» فيقول: «لقد أعيدت صياغة النص، حتى لا يتخذ تمهيداً لحل المسائل الصعبة، التي ظل النقاش حولها أمثال: النسب التاريخي للعرب ابتداء من إسماعيل، وخاصة صلة الإسلام بالرسالة الإنجيلية، حتى لا يفهم منها أن الله تحدث إلى محمد، فالنص النهائي لا يكشف عن أن إبراهيم جد نَسَبِي للعرب المسلمين ولكن كنمط للإيمان الإسلامي بخضوعه لإرادة الله؛ لأن ذلك يفصل جذرياً ما بين العقائد

(١) Cate Chismede I, Eglise Catholique Ma ma Polon, Paris, 1992 (94).

(٢) المصدر السابق (١٨٥).



التوحيدية الناجمة عن المجهود البشري، سواء أكانت عقلانية أم لا، وبين الديانات التي هي ثمرة كلمة الله شخصياً، كتنزيل بحث».

ثم يقرر الكتاب: «أن من واجب الكنيسة المقدس تبشير كل الذين ما زالوا يجهلون الإنجيل»^(١).

و أصدر البابا «يوحنا بولس الثاني» كتاباً في شهر أكتوبر سنة (١٩٩٤م) بعنوان: (ادخلوا في الرجاء)، وهو عبارة عن أجوبة لأسئلة طرحها عليه الصحفي الإيطالي «فيتور يوميسوري» ومن ضمنها سؤال خاص بالإسلام والمسلمين هذا نصه:

ما الفرق بين الله عند المسلمين وإله المسيحيين؟

أجاب يوحنا بولس بجواب طويل نلخصه فيما يلي:

- يقول البابا: «نعم بالطبع فالأمر مختلف كلية فيما يتعلق بهذه الديانات التوحيدية الكبرى بدءاً بالإسلام».
- ثم استشهد البابا بفقرة من بيان المجمع الفاتيكاني الثاني السابق ذكره المتعلق باحترام المسلمين الذين يعبدون الله الواحد الحي الدائم القدير».
- يقول البابا: «إن أي شخص يقرأ القرآن وهو على دراية مسبقة بالعهد القديم والجديد سيلحظ بوضوح، سياق الاختزال الذي تعرض له التنزيل الإلهي المسيحي، ومن المحال ألا يصدم المرء من عدم الفهم الذي يظهر في القرآن بوضوح، لما قاله الله عن نفسه، أولاً عن طريق الأنبياء في العهد القديم.

ثم لما قاله بصورة نهائية في العهد الجديد عن طريق ابنه.

(١) المصدر السابق (١٨٦ - ١٨٧).

وبالفعل إن كل هذا الثراء الخاص بكشف الله عن ذاته والذي يمثل تراث العهد القديم والجديد قد ترك جانباً في الإسلام.

- يقول البابا: «إن الله القرآني تطلق عليه أجمل الأسماء المعروفة في اللغة الإنسانية، لكنه في نهاية المطاف مجرد إله يظل غريباً عن العالم: إنه عبارة عن إله جلاله فحسب وليس أبداً «عمانويل» أي: «الله معنا»، إن الإسلام ليس دين فداء وهو لا يعطي أية مساحة للصليب ولا للبعث، ولقد ورد ذكر يسوع، وإنما تم ذكره كنبى فقط، عليه أن يمهد الطريق لمجيء «ما أومية»^(١) آخر كل الأنبياء، ومريم أيضاً الأم العذراء قد ورد ذكرها، إلا أن مأساة العذراء غائبة كلية، لذلك فإن علم اللاهوت؛ بل وكذلك علم الإناسة في الإسلام شديد البعد عنها في المسيحية»^(٢).

واضح الاجتزاء في قراءة القرآن والاختزال الشديد والمصادرة الكبيرة لمواضيع عظيمة حررها القرآن الكريم. والدفاع العظيم عن المسيح عليه السلام وأمه الصديقة، ضد اتهامات يهود، والدعوة انصريحة من القرآن: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّهِمْ وَإِنَّا لَمُتَّقُونَ﴾ وَالْأَسْبَاطُ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

(ز) في شهر نوفمبر سنة (١٩٩٤م) أعلن «يوحنا بولس الثاني» خطاباً مطولاً بمناسبة اقتراب الألفية الثالثة. وكان الموضوع الرئيس هو: «يسوع المسيح، محور العالم وسيد تاريخه».

يحدد «جوزيف فاندريس» مراسل صحيفة «لوفينجارد»^(٣) في الفاتيكان

(١) يعني محمداً ﷺ.

(٢) المصدر: كتاب الفاتيكان والإسلام (٤٠ - ٤٢).

(٣) في العدد الصادر في (١١/١١/١٩٩٤م)، المصدر: كتاب الفاتيكان والإسلام.



الهدف بوضوح فيقول: «إن عام (٢٠٠٠م) سيصبح إذن عام الخلاص، عام استقبال الإنجيل الذي عرضه يسوع في المعبد اليهودي بمدينة الناصرة، كرسالة تحرير لكافة شعوب العالم».

يلقى «هنري تانك» على هذا الخطاب البابوي ليوحنا بولس الثاني في صحيفة «لوموند»^(١) الفرنسية فيقول: «إن إعدادات البابا لا تفتقر إلى الجرأة أو إلى التنسيق، إذ يبدأ خطابه بتأمل طويل حول مغزى قيمة الزمان ليؤكد على سيادة المسيحية على كافة الديانات ثم يتناول سر التجسد وهو السر الذي يمثل مولد المسيح بالنسبة للمسيحيين... ويقرأ المرء بحرج شديد أحياناً تلك الصفحات التي يقول فيها البابا: إن دخول الله في التاريخ البشري بمثابة تطلع نجده في كل الديانات إذ أن يسوع بالنسبة للمسيحيين هو الله وهو إنسان في آن واحد... وأن المسيح هو تحقيق تطلع كافة ديانات العالم، ومن هنا فهو نهاية مطافها الوحيد والنهائي».

تلخص الباحثة الدكتورة زينب عبدالعزيز أهداف هذا الخطاب البابوي

في:

١ - غاية الاحتفال: تمجيد الثالوث المسيحي (الكاثوليكي) وفرضه على العالم.

٢ - الدعوة إلى إسقاط ديون العالم الثالث كثمن لقبوله رسالة الإنجيل.

٣ - المواجهة مع العلمانية. تحييدها لمصلحة رسالة الإنجيل.

٤ - الحوار مع الديانات الأخرى وخاصة الإسلام. بهدف وجود منافذ لنقل رسالة الإنجيل إلى العالم الإسلامي^(٢).

يقول لود فيغ هاغن: «إن جولة في تاريخ المسيحية الغربية حريّة بأن

(١) في عددها بتاريخ (١٥/١١/١٩٩٤م).

(٢) الفاتيكان والإسلام (٩٧).

تظهر أبعاد نظرة استبعادية متعصبة، سواءً بالحوار والجدل أم بالتبشير أم بالحرب، وكان يجب فرض الحقيقة التي يدعيها كل طرف، واحتكار السلطة بكل الوسائل، ولم يكن هناك بد من فرض احتكار الحقيقة والسلطة بكل الوسائل»^(١).

ويقول: «لا يزال يلاحظ هناك سعار معين ضد القرآن، تعبير الأب «قنوتي الدومينيكاني» وهو رائد لا يعتريه الكلل من رواد المصالحة المسيحية الإسلامية صاغ هذا التعبير في عام (١٩٨٦م) في المؤتمر الخامس للدراسات الدينية اللاهوتية في «سان غابريل» في مود لينغ، في ضواحي فيينا، ويأتي فوق ذلك «الخوف السياسي من الإسلام الذي عاد إلى النمو خلال العقود الماضية في أوروبا»^(٢).

ويقول: «المسيحية في مواجهة الإسلام، هذا التاريخ لعلاقات بين المسيحيين والمسلمين انتهت إلى الإحباط، وباتت تنتمي إلى الماضي، وهذا الماضي يجب ألا يتكرر، ولكن يجب عدم نسيانه أيضاً؛ بل يجب إصلاحه وتجديده.

وتهدف هذه الدراسة إلى أن تكون إسهاماً في ذلك، فهي بحكم البدئية دراسة تذكيرية ودراسة تأبينية رثائية في الوقت ذاته، فبالذكير بالعبء التاريخي الذي يجثم على الديانتين المسيحية والإسلام يختلط الحزن الذي لا عزاء له، والذي تبعته المأساة التي سلخت من التاريخ مئات السنين، كما تبدو على غير توقع في تاريخ العلاقات الخائبة بين المسيحيين والمسلمين، وما عاد توجيه الاتهامات المتبادلة يجدي فتيلاً لإزاء الماضي المثقل بالازدراء على أن وجهة النظر القائلة: «كلهم كانوا مخطئين» (رومية: ٣: ٢٣) هي وحدها التي توجد نقطة تحول جذري في العلاقات بين المسيحيين

(١) مسيحية ضد الإسلام (٢٣).

(٢) المصدر السابق (٢٤).



والمسلمين، على أن ما تلقاه المبادرات الكثيرة التي أدت منذ منتصف الستينيات من قرننا الماضي من الجانب المسيحي إلى توجه جديد من آذان صاغية من العالم الإسلامي، وما تجده العلامات الدالة على النية الحسنة هناك من صدى صريح، إنما يمثل الأمل الوحيد للمستقبل لكي يستطيع أولئك وهؤلاء أن يتعايشوا في هذا العالم، ويحافظوا على بقائهم في احترام متبادل.

وفقط حين يوفقون إلى ذلك، سوف يثبت خطأ نظرية عالم السياسة الأمريكي صموئيل هنتنغتون «Samuel Huntington»، التي يتعذر دحضها لأنها مبدئية، والتي كثر النقاش فيها أي نظرية تمايز الحضارات واصطدامها الوشيك، من حيث كونها أنموذجاً في تفسير الوضع العالمي الراهن»^(١).



(١) المصدر السابق (٢٤ - ٢٥).



خاتمة

ظهر لنا بشكل واضح أن ما يملأ به أساقفة ورهبان النصارى الأسماع من الدعوة إلى التسامح الديني والاحترام المتبادل مع الإسلام ما هو إلا دعوى لا يسندها لا التاريخ الماضي ولا الحاضر المعاصر.

وكيف أن كبار منظري المسيحية وأساقفتها، إذا جاء الإسلام والقرآن ظهرت النفسية العدائية والاستعلائية، ووضعت الدراسات والخطط لمجابهة الإسلام وحربه.

وقد ظهرت من خلال هذه الدراسة عدة نتائج:

١. الفشل الذريع لدعوى التسامح الديني لدى النصارى في موقفهم من الإسلام وظهور النفسية الصليبية الكارهة له والمحاربة بكل ضراوة له.

٢. أن أكثر الدراسات مناداة للإسلام وتكذيباً للقرآن إنما ظهرت من دعاة التسامح أنفسهم من كبار رهبان وقسس النصارى في القرون الوسطى وفي العصر الحديث.

٣. استخدام الفاتيكان باحترافية كبيرة دعوى التسامح والحوار مع الإسلام ليكون مدخلاً لإيصال رسالة الإنجيل إلى المسلمين. لنقلهم كما يحلم البابا يوحنا بولس الثاني إلى المسيحية الكاثوليكية. وليس هدفه الوصول، لا الوصول إلى قواسم مشتركة ولا إلى التعرف على محاسن الإسلام وما فيه من خير ورحمة وهدى.

٤. التحذير من الانخداع بدعوات التسامح والدعوة إلى الحوار وعقد المؤتمرات الاحتفالية بذلك مع المسلمين لأن المضامين معروفة والأهداف مبيتة.



٥. التذكير بقول الحق تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ أَخَذْنَا مِنْهُمُ مَقَاتِلًا مِّمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة: ١٤ - ١٥].

